خطّية الخلق في القرآن الكريم ونظريات تحليل الخطاب

Linear creation in the Qur'an al-kareem and Discourse Analysis Theories

أ.د. عبد الحسين عبد الرضا العمري & الباحث: أحمد فاخر جهيد راضي الفياض: كلية الآداب، جامعة ذي قار، جمهورية العراق

Prof. Dr. Abdul-Hussein Abdul-Rida Al-Omari & Ahmed Fakher Jaheed Radi Al-Fayyad: College of Arts, University of Dhi Qar, Republic of Iraq

الملخص:

تهدف الدراسة الى فهم طبيعة خطّية الخلق في القرآن الكريم وعلاقة ذلك بالوجود البشري الانساني، والخروج بدراسة علمية مسندة إلى مراجع ودراسات حديثة، وتتناول هذه الدراسة وفق موضوعة خطية الخلق في القرآن الكريم أهم النظريات في تحليل الخطاب قدر الإمكان. اعتمد البحث في هذه الدراسة على المنهج التحليلي، فكانت الآيات الكريمة ذات الصلة بالموضوع هي المنهل العذب والمصدر الأساس الذي استنبط منه منهجه، بالإضافةِ إلى الإفادة من مناهج علمية ذات صلة بالبحث، منها المنهج الاستقرائي الوصفي والتحليلي. ومن أبرز نتائج الدراسة: هناك تزامن في الخلق يظهر من خلال مستويات الدراسة الخطّية، فلدينا ترتيب زمني في خلق الأيام والأشهر (ولا سيما الأشهر الحرم) والتي حرّم الله تعالى فيها القتال، فالتزامنية في الخلق هنا جوهريّة ضمن التوجيهات الإلهية والاستجابة الإنسانية لأوامر الخالق جلّ وعلا، كما نجد إنّ خلق الأرض قبل خلق السّماء، و قد أشار النّص القرآني إلى هذه المسألة صراحة في الآيات القرآنية الكريمة. وأوصت الدراسة بضرورة تناول موضوع الخطية ضمن الدراسات النقدية واللسانية كونه أحد فروعها التي يمكن الأفادة منها في ذلك.

الكلمات المفتاحية: الخطّية، أنواع الخلق، تزامنية الخلق، تعاقبية الخلق.

Abstract:

The study aims to understand the nature of the linear nature of creation in the Holy Qur'an and its relationship to human existence, and to come up with a scientific study based on recent references and studies. The research in this study relied on the analytical method, so the noble verses related to the topic were the fresh manhal and the main source from which his method was derived, in addition to benefiting from scientific methods related to the research, including the inductive, descriptive and analytical method. Among the most prominent results of the study: There is a synchronicity in creation that appears through the levels of linear study. We have a chronological order in the creation of the days and months (especially the sacred months) in which God Almighty has forbidden fighting. We also find that the creation of the earth preceded the creation of the heavens, and the Qur'anic text referred to this issue explicitly in the noble Qur'anic verses. The study recommended the necessity of addressing the issue of linear within critical and linguistic studies, as it is one of its branches that can be benefited from in this.

Keywords: linearity, types of creation, synchronicity of creation, succession of creation.

الإطار المنهجي للدراسة:

المقدمة:

لقد اهتمّ علماء اللسانيّات، وعلماء اللغة عموماً، والدّارسون في الدّلالة الحديثة بدراسة كثير من النّظريات التي تُستخدم في تناول النّص، وتستخدم في تحليله وسبر أغواره، على اختلاف أنواع النّصوص التي يُراد تحليلها، ومن هذه النّظريات: البنيويّة، السيميائيّة، التّفكيكيّة، التّداوليّة، ...، كما اهتمّوا بدراسة مصطلحات نقديّة تساعدهم في دراسة ظواهر لغويّة جمالية وفنّيّة ضمن النّص المتناول أو الخطاب كالانزياح مثلاً، والطّاقة: طاقة الكلمة، أو طاقة الجملة بالاستناد إلى الأفعال المستخدمة فيها، وطاقتها ضمن الفعل الكلاميّ، وأيضاً لدينا الشّعريّة، والتّناص: تداخل النّصوص والتّعالقات النّصيّة...، وسوى ذلك من المصطلحات التي لها دور في النّص عموماً وفي تحليل الجملة كوحدة لسانيّة أو لغويّة صغرى فيه، فهذه المصطلحات تمثّل ركيزة من ركائز التّحليل عند هؤلاء اللغويين ضمن أيّة نظريّة تحليليّة أو أيّ منهجٍ تحليليٍّ، وقد تعمّقوا في هذه المصطلحات ودرسوها بتفاصيلها وبيّنوا أنواعها وأقسامها ودورها ضمن النّص، بينما بقيت مصطلحات مهمّشة، بعيدة عن أيّ تناول، ومن هذه المصطلحات مصطلح الخطّيّة؛ إذ قلّ تناولها، وهذا المصطلح بقي مهمّشاً عندهم، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل تعدّاه إلى عدم ذكره أساساً إلى أن جاء (دي سوسّير) وقام بطرحه.

مشكلة الدراسة:

لقد كان وجود مصطلح الخطّيّة في كتب اللغويين المحدثين وجوداً خجولاً، لا يرقى إلى مستوى الذّكر دون الغوص أو التّناول العميق، وإنّما اقتصر درسهم له على إشارات هنا وهناك، فالدّراسات بسيطة جدّاً وهي أقل مستوى من دراساتهم عن المصطلحات السّابقة، والنّظريات السابقة فلا يمكن أن تقارن بها؛ إذ لم يولوها الاهتمام المطلوب لتكون دراسات بحق.

لقد جاءت الدّراسات عن الخطّيّة دراسات محدودة وقليلة جدّاً، لا ترقى إلى مستوى أهمّيّة هذا المصطلح في عالم الدّرس النّقدي الحديث. نتيجة لما سبقت الإشارة إليه؛ تحاول الدراسة التعرف على خطية الخلق في القرآن الكريم في ضوء نظريات تحليل الخطاب.

ويمكن صياغة مشكلة الدراسة في التساؤل التالي: هل للخّطية علاقة بالدراسات النقدية واللسانية ام هي دراسة رياضية لا علاقة لها بتلك الدراسات اللغوية الحديثة؟

يندرج ضمن السؤال الرئيسي مجموعة من التساؤلات الفرعية على النحو التالي:

- ما المقصود بالخطية؟
- هل يمكن اعتبار الخطّية أحد فروع علم اللغة؟

- هل يمكن النظر إلى أنَّ الدرس اللساني قد أهمل الخطّية؟

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي في التعرف على واقع الخطية في القرآن الكريم في ضوء بعض نظريات تحليل الخطاب، وقد جرى استخدام هذا المنهج نتيجة لبساطته وصلاحيته للاستخدام في حقول معرفية مختلفة.

هيكل الدراسة:

- المبحث الأول: مدخل مفاهيمي في الخطية
- المبحث الثاني: نماذج من التزامنية في القرآن الكريم
- الخاتمة والنتائج
- قائمة المصادر والمراجع

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي في الخطية

مفهوم الخطيّة:

الخطّيّة لغة:

جاء في لسان العرب: الخط: الطّريقة المستطيلة في الشيء، والجمع: خطوط، وقد جمعه (العجّاج) على أخطاط، وخَطَّ القلم: أي كتب، وخَطَّ الشّيءَ كتبهُ بقلم أو غيره، والتّخطيط: التّسطير، وأيضاً الخِطّ بكسر الخاء جاءت بمعنى الأرض[1].

الخطّيّة اصطلاحاً:

أوّل مَنْ استخدم الخطّيّة عند العرب من الأسماء ذات الوزن في تاريخ الأدب العربي، أو الذين لمع اسمهم هو (الجاحظ)؛ إذ استخدمها في المجال النّحويّ؛ أي ضمن قوانين النّحو وقواعده، وأصوله[2]، وقبله لم يستخدمها أحد، فقد كان أوّل استخدام لها عند الجاحظ، وقد ورد هذا المصطلح عنده على سبيل الإشارة إلى الخطّ على الورق أي خطُّ القلم الذي يُكتب به، أي من الكتابة عموماً، ولم يستخدموها دائماً بهذا المصطلح، فقد استخدموا لها مصطلحات عدّة، ومنها مصطلح الإمام عبد القاهر الجرجاني وهو مصطلح النّظم، وباستخدام هذا المصطلح فإنّه يتم إطلاق الخطيّة لتشمل

[1]– ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: يوسف البقاعي وآخرون، ط1، بيروت: مؤسسة الأعلمي، 2005م، مادة خطط، ج1، ص1116.

[2]–الجاحظ: ابو عثمان: البيان والتّبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة: الخانجي، ج1، ص78.

المكتوب بالخط، وتعريف أجرائي يرى الباحثان بأنها: مجموعة من الأحداث المتراتبة، وهي بتعريف آخر: سلسلة من العلاقات التراتبية التزامنية والتعاقبية عمودية كانت او افقية ولغوية اوغير لغوية متراتبة لايتقدم بعضها البعض الآخرمهما امتد الزمن، وعرفت ايضا: بأنهاالأمتداد التراتبي التزامني الأفقي والعمودي في العلاقات اللغوية وغير اللغوية مكونة سلسلة من العلاقات التراتبية التي لايسبق بعضها البعض الآخر[1]. وأمّا في الدّرس الغربيّ فخير مَن تحدّث عن هذا المصطلح وتعمّق فيه فهو العالم (دي سوسير)، وقد تحدّث في محاضراته عن الدّليل اللساني عن الخطيّة في أثناء حديثه عن خصائص هذا الدّليل اللسانيّ ملخّصاً هذه الخصائص بخاصيتين اثنتين: الاعتباطية والخطية.

فأما: الاعتباطية فهي اعتباطية العلاقة بين الدال والمدلول، ومعنى ذلك أنها غير معلّلة ومثال ذلك: فكرة " أخت"في اللغة الفرنسية التي لا تربطها أية علاقة داخلية مع المتوالية الصوتية [s oe u r] التي تعد دالا بالنسبة إليها. وخير دليل يؤكد هذه الخاصية هو اختلاف الدوال من لغة إلى أخرى، فللمدلول "ثور" الدال [boef] في الفرنسية و [oks] في الألمانية [2].

ويعود سوسير لتوضيح مبدأ الاعتباطية بقوله: " ينبغي أن لا يوحي لفظ اعتباطي بفكرة أن الدال يخضع للاختيار الحر عند الذات المتكلمة... ونقصد باعتباطي كونه غير معلل، فهو اعتباطي بالنسبة للمدلول الذي لا تربطه به أية صلة في الواقع " [3]، ومعنى ذلك أن عملية التسمية ليست مسألة اختيارية تتوقف على الاختيار الحر للمتكلم، وذلك لأن الفرد ليس بمقدوره أن يغير أي شيء في العلامة المستعملة قديما لدى جماعة لغوية. فاللغة بهذا المنظور إرث لمراحل سابقة يخضع لها الفرد وتُفرض عليه. وإن كان الأمر كذلك يحق لنا أن نطرح السؤال التالي: كيف يمكن تحديد تلك الفترة التي يخترق فيها متكلم اللغةِ اللغةَ؛ فيبتكر مصطلحات جديدة أو يعدل أخرى لم ترقه وذلك وفقا لميولاته العلمية أو الشخصية؟ ومن الانتقادات التي وجّهت لسوسير حول قضية الاعتباطية بين الدال والمدلول هي؛ الكلمات التي تُعد العلاقة بين دالها ومدلولها علاقة معللة وهو ما يعرف في العربية وغيرها بأسماء الأصوات (خرير – لحيف – نهيق..)، وألفاظ التعجب. فالأولى (أسماء الأصوات) يذهب سوسير إلى أنّ حضورها في اللغة حضور هامشي بمعنى أنها تحتل قسما صغيرا داخل

[1]– نعمة، زينب ثجيل (2017): خطّية الخلق في نهج البلاغة، بغداد: جامعة الكوفة، رسالة ماجستير غير منشورة، ص5–15.

[2]– الراضي: محمد (2012): النظريات اللسانية الكبرى، ط1، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ص122.

[3] –المصدر السابق، ص122.

اللغات. أما الثانية (ألفاظ التعجب) فيستدل على بطلان التعليل بين دالها ومدلولها بكون دوالها تختلف من لغة إلى أخرى [1].

وفي توضيح آخر له؛ يميز سوسير الدليل اللساني عن الرمز؛ وذلك لتوفر هذا الأخير على توافق بين داله ومدلوله، فإذا كانت الحمامة رمزا للسلام وليس النسر أو الديك فهذا راجع إلى خصائصها الطبيعية والتي ترسّخت في الثقافات البشرية، ونفس الأمر بالنسبة للميزان التقليدي الذي يرمز به للعدالة دون غيره من وحدات القياس المتعارف عليها، فجعله –هو بالتحديد– رمزا للعدالة راجع إلى خصائصه التقنية التي تقضي بتسويته لكفّتيه في مستوى واحد، فنقلت هذه الخاصية إلى الثقافة البشرية وأصبح يرمز به للعدالة.

أمّا الخطّيّة: يقول: تقتصر هذه الخاصية على الدال لوحده؛ أي الصورة السمعية. وبما أن الدال شيء مسموع فهو يظهر إلى الوجود في حيّز زمني وتُستمد منه هاتين الصفتين:

1) يمثل فترة زمنية وبالتالي هو عبارة عن امتداد

2) هذا الامتداد قابل لأن يقاس ببعد واحد هو الخط

ويختلف الدال السمعي عن الدال البصري في أن الدّال البصري يوفر إمكانية قيام مجموعات على أبعاد عدة في آن واحد بينما الدال السّمعي له بعد واحد فقط وهو البعد الزمني. وعناصر الدال السّمعي تظهر على التّعاقب، فهي تؤلف سلسلة. وتتضح هذه الخاصيّة عندما نعبر عن الدّال كتابة، فيحل الخطّ المكاني لعلامات الكتابة، محل التعاقب الزمني[2]،

بعد الحديث عن مفهوم الدليل وخصائصه عند فرديناند دي سوسير نختم هنا بالقول: إنه لمن الضروري أن يُؤخذ بعين الاعتبار عند التقويم النقدي لما جاءت به "دروس عامة في اللسانيات"، أن الأمر يتعلق بشبه نظرية انتُشلت من بضع دروس وبعض الجذاذات الشخصية لسوسير. وهذا لا يعني بالضرورة أن كل ما وصلنا عن دي سوسير هو بالضبط ما كان يرمي إليه بنفسه. وبالرغم من ذلك كله، فقد شكل ما وصلنا باسم سوسير مفتاحا لأبواب تقليدية كانت من العسارة بمكان أن يتجرأ أحد على فتحها. وإنه لمن العيب أن يُقبِل طالب كيف ما كانت لغته على علم اللسانيات دون تمثل لقضايا وأسس اللسانيات البنيوية.

[1]– ادشيش، يونس (2017): الدّليل اللساني عند فرديناند دي سوسير، موقع منتدى مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية.

[2]–المرجع السابق.

لقد مثّلت الخطّيّة إحدى خصائص الدّليل اللساني السّوسوري، فكانت خصيصة رئيسة ضمن العلاقة بين الدّال والمدلول عنده، ليحدث ترابط بين هذه الخاصيّة والعنصر الزّمني، وهذا العنصر الذي يُحدد بعملية امتداد؛ فليس المقصود الزمن بذاته، وإنّما امتداد زمنيّ، وهذا الامتداد قابل للقياس ببعد واحد هو الخط، فالدّال السّمعي الذي تمثّله الخطّيّة يرتبط على نحو مباشر بالعنصر الزّمنيّ.

وهذا ما تحدّث عنه سوسير في كتابه علم اللغة العام، وقد وضّح ذلك على نحو أعمق، في أثناء حديثه عن طبيعة الإشارة اللغويّة، فقد تعمّق في هذه الإشارة والعلاقة بين الدّال والمدلول، مشيراً إلى إحدى صفات الإشارة وهي (الطّبيعة الخطّيّة للدّال)، التي تمثّل المبدأ الثّاني الذي أهمله علماء اللغة على الرّغم من أهمّيته الكبيرة إذ إنّ عمل اللغة لا يقوم دونه، إنّه جوهريٌّ وتترتب عليه نتائج مهمة [1]، هذا وأشار سوسير في كتابه هذا إلى أهميّة هذا العنصر، وجوهريته ضمن النّظام اللغويّ والعلاقات المكوّنة له، هذه العلاقات الدّقيقة والمترابطة مع بعضها، والتي لا ينعزل أيّ جزء فيها عن الآخر؛ فالكلمات مترابطة فيما بينها، لا تنعزل كلمة عن الأخرى ضمن النّص الواحد وفقاً له، ويوضّح ذلك كلّه من خلال توضيحه لاكتساب الكلمات علاقات ضمن الحديث من خلال الطّبيعة الخطّيّة للغة لأنّها مرتبطة مع بعضها، فالأجزاء لا تستقل عن بعضها بتاتاً [2].

إنّ هذه العناصر مرتّبة بصورة متعاقبة ضمن السلسلة الكلاميّة، فأشار هنا إلى عنصر التّعاقبيّة، والتّزامنيّة، وارتباطه بالعناصر المكوّنة للنص، فالعناصر لا تُنشئ نصّاً ذا معنى دون وجود تراتب لها، وتعاقب، على نحو يكون ورود هذا العنصر تالياً لذاك جوهريّاً ضمن السلسلة الكلاميّة. على أنّ العلاقات الخطّيّة بين الكلمات لا تقتصر على هذه العلاقة داخل الوحدة النّصيّة، فالكلمات تكتسب علاقات خارج النّص ولا يدعمها التّعاقب الخطّيّ، وإنما يكون مركزها الدّماغ فهو الخزّان اللغوي لكل متكلّم[3].

وتحدّث عن هذه العلاقات داخل النّص من علماء اللغة أيضاً إلى جانب سوسير العالم (تشومسكي) في أثناء حديثه عن نظريته وهي النّظرية التوليدية التّحويليّة؛ إذ أطلق على هذه العلاقات أسماء متنوّعة منها الكفاءة اللغويّة، والبنية العميقة، ... وسوى ذلك، لقد أطلق هذه التّسميات ضمن استعراضه لنظرية التّوليد والتّحويل، فالبنية السطحيّة تعكس بنية عميقة، وهذه البنية قائمة على هذه العلاقات الخطيّة (البنية السّطحيّة)، فلا يمكن أن تعكس البنية السطحيّة بنية عميقة إلا عبر ارتباط

[1]– دي سوسير (1985): علم اللغة العام، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، ط3، بغداد: دار آفاق عربية، ص89.

[2]– المرجع السابق، ص142.

[3]– المرجع السابق، ص142–143.

هذه العناصر (العناصر اللغوية) مع بعضها، وتعاقبها زمانيّاً، فالارتباط وحده غير كافٍ، إنّما يُشترط التسلسل المنطقي للانتقال إلى البنية العميقة عنده، فكانت رؤيته متقاربة إلى حدّ ما مع رؤية سوسير.

تقاطع الخطية مع العلوم الأخرى:

إنّ الخطّيّة من المفهومات التي جرى تناولها في العلوم الرّياضيّة مثل الرّياضيّات والفيزياء...[1]، وهذا أمر يناقض ما هو موجود في اللسانيات الحديثة؛ إذ تعتمد الرياضيات والفيزياء بوصفها علوم تطبيقيّة في أغلب المعلومات والنّظريات على الرّمز (إنّها علوم رمزيّة بامتياز) تقوم على الرّمز والإشارة في المعادلات والنّظريات الرّياضيّة، فلا يمكن فكّ أي معادلة أو حلّها دون الارتكاز على رموز رياضيّة، وكذلك الأمر فيما يخصّ الفيزياء؛ فالمعادلات الفيزيائيّة والمسائل تقوم على الرّموز رموز فيزيائية خاصة بهذا العلم لا يعلم فكّ شيفراتها إلا علماء الفيزياء.

وهذا من الأمور التي تُستعمل في اللغة العربيّة في نصوصها الفنّية؛ أي الرمز، فاللغة العربيّة لغة بليغة على نحوٍ عام، وقد ربط أحد الحكماء القدماء بلاغة اللغة عموماً بالإيجاز، واللغة العربيّة لغة بليغة وهي ترتكز في هذا الإيجاز على الرّمز، فالرّمز من أدوات الفنّيّة في نصوص العربيّة، والرمز بوصفه أداة فنّيّة يحيل على شيء، فهو شيء يحيل على شيء آخر [2]، إنّه يقوم على التّكثيف، وهي (أي الخطية) بهذا الاستخدام للرمز إنّما تشترك مع الرّياضيات؛ فالرياضيات تستخدم الرمز من ناحية، وكذلك اللغة العربية تستخدمه من ناحية أخرى، وإن كانت مغايرة تماماً، إلاّ أنّها تستخدمه، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الفيزياء التي تستخدم هي الأخرى الرموز بصورة مغايرة عن علم الرياضيات، وأيضاً بصورة مغايرة عن اللغة العربيّة بعلومها كافة، ولكن هناك اشتراك بالاتجاه العام وبالنّظرة إلى الرموز كركيزة في الاستخدام.

لقد حدث تقاطعٌ بين العلوم الثّلاثة بهذا الاستخدام للرمز وبهذا التقاطع طرأ تطوّر على مفهوم الخطّية فأصبح من المفاهيم الرياضية اللغوية، وهذه المفاهيم توضح دلالات معينة، يمكن عن طريقها إحداث وصل بين المعنى اللغوي من جهة والمعنى الاصطلاحي من جهة أخرى فتحدث مقاربة بين المعنى من جهة اللغة الصّرفة، والمعنى من جهة المفاهيم الاصطلاحيّة التي هي أقرب إلى التعاريف والتوضيحات.

[1] – الحباشة، صابر (2020): علاقة اللسانيات بالرياضيات رهانات أم عقبات، مجلة المخاطبات، العدد 99.

[2] – شادي، محمد ابراهيم عبد العزيز (1991): الصّورة بين القدماء والمعاصرين دراسة بلاغية نقدية، ط1، القاهرة: مطبعة السعادة، ص69.

المبحث الثاني: نماذج من التزامنية في القرآن الكريم

تزامنيّة الخلق:

الزمن والزّمان مفردتان متداخلتان وإنّ كانت كلاهما تشير إلى عامل الوقت، ولكن تختلف كلّ منهما عن الأخرى، فقد جاء في لسان العرب إنّ: الزّمن والزّمان اسم لقليل الوقت وكثيره، ...، وقيل في المحكم الزمان هو العصر... [1]، ولعلّ إشارة النّص القرآني إلى الزمن جاءت على نحو ليس بقليل فقد أشارت لغة النّص القرآنيّ إلى الزّمن في أثناء الحديث عن القصص في أكثر من موضع؛ إذ قلّما تخلو قصة من الإشارة إلى عامل الزمن، ومن ذلك قوله تعالى في قصة أهل الكهف: **(وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَمِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا)**[الكهف: 25]، "وإثبات تسع سنوات له أهمية فهو يدل على أنّ الله يتابع مفردات لعدد يحصي مائة"[2]، فنلاحظ ألفاظ العدد المسندة إلى ألفاظ زمنيّة، إنّه يتابعها زمنياً بدقة متناهية، فبعد الحديث عن الثلاثمئة سنة جاء الحديث عن التّسع سنوات، وألفاظ الزمن تظهر في أكثر من موقع في النّص القرآني، وتظهر في أثناء الحديث عن الخلق، وعن زمن الخلق؛ خلق أحد المخلوقات قبل أو بعد مخلوق آخر في أثناء عملية الإبداع والإنّشاء؛ فالتزامنيّة تشير إلى الزمن وتدخل في إطار معنويّ ثنائيّ أيضاً، فهي تشير إلى حدثين وكونها في الخلق فهي تشير إلى نوعين متزامنين من الخلق ضمن ترتيب زمني معين أي اتفقا في الزّمن فَخُلقا في فترةٍ واحدة ولكن أحدهما قبل الآخر، ومن ذلك حديثه تعالى عن خلق الأشهر والأيام، فمن المعروف إنّ أيام الأسبوع خُلقت ضمن ترتيب ونظام مُعيَّنين لا يمكن الخروج عليهما، وهذا التّرتيب بذاته يخلق الأسبوع؛ فخلق الأيام (يوماً بعد يوم، كلّ يوم هو مخلوق، ووضعها بهذا التّرتيب) يقود إلى خلق مخلوق ثانٍ هو الأسبوع، وترتيب الأسابيع بدوره يقود إلى خلق الأشهر فترتيب الأسابيع ضمن نظام محدد؛ أسبوعٌ يلي أسبوعاً يقود إلى تشكلّ الشّهر المكوّن من أربعة أسابيع، والأشهر بدورها ضمن ترتيبها المحدد والمنظّم تشكلّ وتخلق السّنين، هذا ولخلق الأشهر ترتيب زمني معيّن، وهذا التّرتيب يُقسمها إلى نوعين اثنين: أشهر عادية، وأشهر حُرم، فالزّمنيّة في الخلق هنا جوهريّة في تحديد نوع المخلوق وتقسيماته، يقول تعالى: **[إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّماوات وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ]**{التوبة: 36}.

نلاحظ تصريح النّص القرآني صراحة بأنّ خلق الشّهور جاء على أساس عدديّ، فجعل خلق الأشهر على اثني عشر شهراً، فلفظ (يوم) ضمن التّركيب (يوم خلق السّماوات والأرض) يحدد زمن خلق الأشهر بزمن خلق السّماوات والأرض، ويؤكد ارتباط هذا الزمن (بعدديته القائمة على الرقم 12)

[1]– ابن منظور، لسان العرب: مادة زمن، ج2، ص1694.

[2]– طول، محمد (1989): البينة السردية في القصص القرآني، ط1، عمان: ديوان المطبوعات الجامعية، ص39.

بزمن خلق السّماوات والأرض بكلّا الخلقين؛ أيّ خلق الأشهر، وخلق السّماوات والأرض فهذا يقود بالضرورة إلى أنّ خلق السّماوات والأرض جاء وفق نظام وترتيب قائم على ترتيب الأشهر (خلق الأرض قائم على هذا التّرتيب، فالأرض تسير وفق هذا التّرتيب والامتداد إلى السماء جاء عبر الارتباط بالعطف على المستوى التّركيبيّ فقط)، هذهِ الأشهر القائمة بدورها على ترتيب الأيام والأسابيع فالأيام المتسلسلة المتعاقبة بحركتها التكرارية تُشكلّ الأسابيع، هذه الأسابيع التي تُشكلّ بدورها الأشهر، والنّص القرآني هنا يتحدث عن خلق هذه الأشهر رابطاً زمن خلقها بزمن خلق السّماوات والأرض، لتحدد آلية الخطاب اللغويّ وعلى المستوى التّركيبيّ تحديداً أربعة من هذه الأشهر (منها أربعة حُرم) بأنّها حُرم، والأشهر الحُرم هي الأشهر التي نهى الله تعالى المسلمين فيها عن القتال، فجاءَت الآية على المستوى التّركيبيّ في البداية مُصّرحةً بخلق الأشهر على اثني عشر شهراً (إنّ عدّة الشهور عند الله...)، مُسندة هذا الخلق إلى كتاب الله، ومحددة زمن الخلق بأنّه متوافق وزمن خلق السّماوات والأرض عبر استخدام الظرف (يوم)، فلجأت آليّة الخطاب اللغويّ في الآية إلى الرّابط بين الزّمنين عبر الظّرف (يوم) لتصّرّح الآية على المستوى الدّلاليّ بلفظ (الظلم) بكامل طاقته، هذا اللفظ المُحمّل بطاقة دلالية كبيرة تشحن الطّاقة التّفاعلية للمتلقي، فهو يحمل المتلقّي على الاستنفار والتفكّر، فالتّركيب القائم على الأسلوب الطلبي (لا تظلموا) على المستوى التّركيبيّ مشحون بطاقة مضاعفة عبر الفعل المستخدم فيه من جهة (الفعل تظلموا وطاقته الدّلاليّة)، مُضافاً إلى ذلك (على المستوى الصّرفيّ) الصّيغة الصّرفيّة المضارعة التي تفيد التكرارية، فيحيل ذلك على ظلم مُضاعف، ظلم كبير، وهذا ما يحرّك مخيلة المتلقي لتخيّل كميّة الظلم المختزنة في هذا التّركيب القائم على المخاطبة المباشرة من قبل الخالق عزّ وجل، مما يكسبه طاقة أكبر، هذهِ الطّاقة التي تتضخم أكثر عبر الارتباط اللغويّ السياقي مع ما يسبقه؛ إذ نلاحظ ارتباط هذا التّركيب بالتّركيب (ذلك الدين القيّم)، فلفظ (الدّين) مقدّس، والصفة هنا تؤدي دوراً محورياً في رفع شأن لفظ الموصوف وهو الدّين، وعبر شحن قيمته ورفعها، يتم شحن طاقة النّهي، فهذا الدين عالي المرتبة والمخاطب مُطالب بعدم خرقه، ومن هنا يحدث توافق دلالي تركيبي، فبعد شحن لفظ (الدين) دلالياً وتأثيرياً يأتي الأسلوب الطلبي القائم على النّهي المباشر (لا الناهية + مضارع بصيغته التّكرارية) من قبل الخالق فهذهِ الطّاقة في هذا الأسلوب تتناسب والطّاقة في (الدين)، عبر وصفه بالقيّم، فيحدث توافق في غرض الطّلب وهو عدم الظّلم فالخروج على الدين بهذهِ الطّاقة التي يحملها سياقياً (عبر الآلية اللغويّة) سوف يقود بالضّرورة إلى ظلم شديد يأتي من عاقبة هذا الخروج؛ أي العذاب الأليم يوم الآخرة، لقد حدث توافق دلالي تركيبي تأثيري في النهي هنا، وفي طلب القتال في الجزء الثاني من الآية كما يفعل المشركون، ويُضاف إلى هذا التوافق الدّلاليّ التّركيبيّ توافق على المستوى الصوتي (الإيقاعيّ)؛ فنلاحظ أنّ الإيقاع هو إيقاعٌ عالي النبرة و النّبر هو عامل الموسيقى ويرتكز على حروف تتضح قوّة وجزالة كالقاف والخاء (خلق)، ويُضاف إليها حرف (الظاء) الذي يُشكلّ محور أسلوب النهي (تظلموا) وهذا ما يزيد طاقة خطابيته هذهِ الطّاقة التي تبلغ الذروة عبر تآزر الجانب الموسيقي (المستوى الصوتي) مع المستوى الدّلاليّ

(فحرف الظاء)، يتعاون مع حرف القاف وهو " حرف شديد "[1]، الذي يتعاون بدوره مع حرف الخاء (خلق: يجتمعان في لفظ واحد)، ولدينا تكرار حرف القاف في ألفاظ (قاتلوا – يقاتلونكم)، فالغلبة للإيقاع الشديد بما يتناسب والتنبيه المُتضمن بصيغة الطّلب (لا تظلموا)، فالمستوى الصّوتي يتآزر مع المستويات الأخرى ضمن المقام العام، والتوجّه العام للآلية الخطابيّة في الآية الكريمة.

التّرتيب الزمني للأشهر:

وأحياناً يرتبط التّرتيب الزمني للأشهر بواقعةٍ ما، فيدخل في صلب الحدث عند رواية هذهِ الحادثة، قال تعالى: **[فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كلّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ]**[التوبة: 5]، نلاحظ التّرتيب الزّمني لخلق الأشهر يدخل في صلب آلية الخطاب اللغويّ للآية الكريمة، فما إنّ تدخل الأشهر الحرم، يحرّم القتال، ولكن الآية تتحدث عن أفول هذهِ الأشهر وانتهاء وقتها، فنلاحظ استخدام الفعل (انسلخ) ضمن أسلوب الشرط (إذا...)، فالآية (على المستوى التّركيبيّ) ترهن قتل المشركين (وهو جواب الشرط) بحدوث فعل الشرط (الانسلاخ: الأفول والزّوال)، فترتيب الأشهر الحرم وتعاقبيتها يدخل في صلب الحدث السّردي هنا، ولعل لفظ (انسلخ) يشكّل محور الآلية والوظيفية التي تقوم عليها آلية السّرد اللغويّ في الآية الكريمة، فالأفعال الأخرى استُخدمت في موقع العطف (وجدتموهم) و(خذوهم)... كلّها بحرف العطف الواو لتصوير حديث المعركة، ولعل فعل (انسلخ) تقع عليه الوظيفة في الجملة بالتعاون مع جواب الشرط (اقتلوا) على المستوى الدّلاليّ، بالتعاون مع المستوى التّركيبيّ (فعل الشرط وجوابه)، إذ يرى رولان بارت إنّ الوظائف في الحكي تكمن في الطّابع الشّمولي، والوظائف هذهِ وحدات تكوّن كلّ أشكال الحكي وهو لا يحصر الوظيفة في الجملة، فقد تقوم كلمة واحدة – في نظره – بدور الوظيفة في الحكي"[2]، فالكلمة لها دور أساسي في التّعبير هذا الدّور تستند عليه آليّة الخطاب في بعض المواضع، وهذا ما نراه هنا، ففعل الانسلاخ يتمتّع بطاقة المركزية التي تقوم عليها الآلية الخطابية، وكأنّه نقطة الاستناد الأساسية لها؛ فيمكن أن نلاحظ إنّه يؤدي الوظيفة في الحكي، ولا سيما عبر ارتباطه (تركيبياً) بفعل الجواب (جواب الشرط): اقتلوا.

تزامنية الآيات في النّص القرآني بذاته:

هناك تزامنية للآيات في النّص القرآني بذاته، فنزول الآيات جاء تدريجياً؛ إذ إنّ سور القرآن الكريم والبالغ عددها (114) سورة نزلت على قسمين في مكّة، وفي المدينة، وتحتوي كلّ سورة على

[1]– عباس، حسن (1998): خصائص الحروف العربية ومعانيها، دمشق: منشورات دار الكتّاب العرب، ص141.

[2]– الحمداني، حميد (1991): بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ط1، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ص28.

عدد من الآيات، وأول آيات نزلت كما يُنقل عن الإمام الصادق عليه السلام هي الخمس الأوائل من سورة العلق...[1]، وقد كان القرآن الكريم يُكتب بعهد النبي بين يديه في جرائد النخل والأكتاف والحرير، وقد كان هذا التّأليف للقرآن عبارة عن ترتيب، إذ كأنّ الآيات تُرتب حسب إرشاده (صلى الله عليه واله وسلم) إلى مواضيعها، ولكن الصحف المكتوبة كانت متفرّقة ولذلك أمر النبي الإمام علي(عليه السلام) بجمع هذهِ النّصوص وحذّر من ضياعها[2]، والترتيب كان وفق نزول الآيات والسور فجاءت مرتبة وفق نزولها بين مكة والمدينة والعامل الزمني جوهري، ودخل في صلب ترتيب الآيات، حتى ضمن السورة الواحدة فيها آيات مدنية تلي زمنياً الآيات المكية، فمثلاً لدينا سورة النحل نزلت بمكة إلا هؤلاء الآيات: (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ)[النحل: 126]، فآيات هذهِ السورة نزلت بمكة جميعها إلا هذهِ الآية نزلت بعد هجرة الرسول إلى المدينة"[3]، ومن الآيات التي نزلت في المدينة آيات سورة البقرة، والأنفال، وآل عمران...، ومن الآيات المكية آيات سورة الأنبياء، عبس...الخ ونشير هنا إلى أنّ لغة الآيات في السور جميعها لغة عربية فصيحة فالله تعالى خصّ العرب بكتابه الذي جاء بالعربيّة الفصيحة إذ تعدّ لغته من أفصح وأبلغ ما عرفته العربية منذ أَنْ عرفت الأبجدية، ولكن وإنْ كانت كل السور وكل آياتها بليغة فصيحة، إلاّ أنّ الآيات المكية امتازت بخصائص لغوية على المستوى الدّلاليّ والصوتي والتّركيبيّ تميّزها عن الخصائص اللغوية للآيات والسور التي نزلت في المدينة بعد الهجرة، كما امتازت هذه الآيات بالتركيز على الشريعة والأحكام الشرعية نظراً لطولها، فكانت الآيات تفصّل في الأحكام وفي شرحها فمثلاً قوله تعالى: (يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُواْ إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاء فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)[النساء: 176]، نلاحظ هذهِ الآية من سورة مدنية فهذهِ الآية امتازت بالطول، إذا ما قُورنت بآياتٍ من سورة مكية، ولعل هذا الطول نابع من اتجاه اللغة وآلية اللغة الخطابية للآية إلى التعمق في الحكم الشرعي للميراث؛ إذ اتجهت لتوضيح الحكم عن الرجل وأخته؛ (الرجل الذي لا ولد له، وأخته) فلم يقتصر خطاب الآية على الرجل بل شملت الأخت أيضاً (هو يرثها)، لتنتقل الآية إلى حالة جديدة (إنْ كانتا اثنتين) عبر أسلوب الشرط على المستوى التّركيبيّ، لتوضح الحكم الشرعي، ثم حقّ الذكر، فنلاحظ الشمولية على المستوى الدّلاليّ العميق، ونلاحظ تعاون المستوى التّركيبيّ مع المستوى الدّلاليّ فنلاحظ الاستئناف / الفاء /، ونلاحظ التكرار على المستوى التّركيبيّ لهذا الأسلوب بهذا الحرف ذاته، لزيادة فاعلية التواصل وعدم إخراج الذهنية في

[1]– مركز نون للتأليف والترجمة (2014): دروس قرآنية، ط 8، بيروت: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، ص28.

[2]– الشيرازي، أبو عبد الله الزنجاني (2002): مقالات في تاريخ القرآن وصدر المتألهين، ط1، دمشق: المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق، ص75.

[3]– المرجع السابق، ص74.

النسق اللغوي الممتد والمتواصل، فالتكرار هنا دخل في صلب البناء التّركيبيّ الآلية الخطابية على المستوى التّركيبيّ، وخدم الناحية والبعد الدّلاليّين، فأسهم في زيادة التركيز الذهني على مستوى تقديم الحكم بدقة، وتقديمه بيسر دون التشتت الذهني من جهة المتلقي، إلى جانب ضمان فاعلية الامتداد الموسيقي المتواصل، مما يزيد في الآلية التواصلية الدّلاليّة ويزيد فاعليتها (فيتعاون المستوى الصوتي مع المستوى الدّلاليّ) تعاون المستويات أي تفاعلها في ضمان الطّاقة التأثيريّة إلى جانب تعاونهما مع المستوى التّركيبيّ ولا سيّما في الجزء الأخير من الآية، فنلاحظ لفظ (تضلّوا) على المستوى الدّلاليّ الذي جاء بالصّيغة الصّرفيّة المضارعة (على المستوى الصرفي) فبيّن سبب الشرح المستفيض في الأجزاء السابقة في الآية، وجاء بهذهِ الفاعلية الدّلاليّة (طاقة الفعل من معناه إلى جانب صيغته الصّرفيّة) فتعاون المستوى الدّلاليّ مع الصرفي، وأيضاً تعاونا مع المستوى التّركيبيّ إذْ جاء المصدر المؤول من أن والفعل المضارع في محل وموقع المفعوليه (المفعول به) لفعل البيان (يبين) الذي جاء هو الآخر بالصّيغة المضارعة فهذا يؤكد حدوث امتداد صرفي بين مطلع هذا الجزء ووسطه وهذا الامتداد الموسيقي الدّلاليّ السابق في أجزاء الآية السابقة، إذ يحدث توافق وانسجام بين أجزاء الآية، وهذا الامتداد يدعم هذا الانسجام ويزيده فاعلية، ليأتي ختام هذا الجزء وختام الآية كلها بالتأكيد على عظمة الخالق وقدرته على مراقبة ومعرفة ما يفعله الناس (فكلمة عليم بصيغتها الصّرفيّة) تفيد القدرة المطلقة على المعرفة فتتآزر وتتوافق مع التركيب (كل شيء) على المستوى التّركيبيّ (توافق على المستويين التّركيبيّ والصرفي) في إطلاق قدرة الخالق على معرفة سلوك الناس إزاء هذهِ الأحكام بهذهِ التفاصيل.

المستوى الصوتي الموسيقي مع التّركيبيّ:

لقد تآزر المستوى الصوتي الموسيقي مع التّركيبيّ، حتى كأن التكرار في أجزاء الآية / الاستئناف بالفاء / كان بمنزلة الضرورة من الناحية الموسيقية (على المستوى الصوتي) ليدعم الجانب الدّلاليّ والتّفاعل من قبل المتلقي مع المستوى اللغويّ العميق لآلية الخطاب، فجاء مسانداً على نحو مركزيٍّ للمستوى الدّلاليّ إلى جانب المستوى التّركيبيّ (أن تضلوا...).

ونلاحظ أن العامل الزّمنيّ ضمن ترتيب الآيات والسور القرآنية يظهر أيضاً بخلو الآيات المدنية على المستوى اللغوي لآلية الخطاب من لفظ (كَلّا) تقريباً، بينما نجدها ظاهرة بكثرة في السور المكّية، فآيات السّور المكّية تستخدم هذا اللفظ، إلى جانب قصرها وميلها إلى المباشرة القصيرة في التّعبير، فهي لا تلجأ إلى الاستفاضة، ومن استخدامها للفظ (كلا)، قوله تعالى: (كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ)[المعارج: 39}، فنلاحظ افتتاح هذهِ الآية من هذهِ السورة المكية بلفظ (كلا)، وقد جاء في موضع الابتداء؛ لأنّه جاء في موضع الجواب عن سؤال سابق (في آية سابقة) وهو عن الطمع بدخول الجنة، فجاء الجواب بالزّجر (كلا)، وإسنادها (كأداة للزجر) على المستوى التّركيبيّ إلى (إنّا):

(إنّ + نا)، والتي تُستخدم للتوكيد، فهي تفيد زيادة فاعلية الدلالة لما بعدها، فيأتي التّوكيد شاملاً لفعل الخلق ومما يتكون فعل الخلق لهؤلاء الطامعين بدخول الجنة، فاستخدام أداة الزّجر ينقل المستوى الدّلاليّ للآلية الخطابية إلى اتجاه آخر وهو اتجاه يتجاوز النفي، نفي دخول الجنة، إلى تأكيد دخول النار، فالنفي جاء مضاعف الطّاقة، وهذا النفي جاء بالاستناد تركيبياً على ما بعد كلا (على مضمون فعل العلم) فهو يفيد اليقين، يفيد إطلاق طاقة عالية تأثيرياً، فعندما يسمع الإنسان فعل (يعلم)، يعني أنّ الشخص عارفٌ مُتيقّنٌ مما يقول، ففعل العلم يطلق التأكيد، تأكيد المعرفة لماهية الخلق، فالمستوى التّركيبيّ هنا يطلق الدّلاليّة (يتعاون مع المستوى الدّلاليّ: اختيار الفعل يعلم)، فتزيد الفاعلية الدّلاليّة التأثيرية وتبلغ الذروة على المستوى التواصلي، ومستوى تماسك النّص القرآني.

ومن ذلك قوله تعالى: (كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ)[عبس: 23}، ونلاحظ أنّ هذهِ السورة المكية جاءت بآيات قصيرة جداً، فكلّ آية لا تتجاوز أربع إلى خمس كلمات (معظم الآيات) وليس كلها، وهذا من أدلة الآيات المكّية فهي قصيرة، وهناك آيات تتألف من كلمتين اثنتين مثل قوله تعالى: (وَفَاكِهَةً وَأَبًّا)[عبس: 31}، فالآيات لهذهِ السّورة قليلة الكلمات وقصيرة خلافاً لآيات السّور المدنية، وبالعودة لهذهِ الآية (لفظ كلا) نلاحظ تأثر بناء الآية بهذا اللفظ الذي جاء جواباً لسؤال مفترض بالقضاء، قضاء ما أمر الله، فالسؤال هو: هل أدّى هذا الإنسان الذي خلقه الله تعالى على أحسن تقويم وبأحسن صورة حقّ خالقه، وهل وفّى ما هو مأمورٌ به، إزاء الخالق، فجاء الجواب بالزّجر المباشر عبر الأداة (كلّا) التي تتجاوز النفي إلى الزّجر والرّفض فهذا الإنسان الجاحد المغرور، رفض أن يقوم بما أمره الله تعالى خالقه به، رفض ولم يُعره أهمية لما طلبه (ولعلّ المقصود هنا الإنسان الكافر، فلم يهتم لما أمره الله، فجاء الزّجر على المستوى التّركيبيّ لزيادة الفاعليّة بما يتناسب ومقام الآية الكريمة وهذا الرّفض من هذا الإنسان الكافر، فتتآزر على المستوى التّركيبيّ مع الفعل يقضِ بهذهِ الصّيغة الصّرفيّة الفاعلة، ولفظ (أمره) على المستوى الدّلاليّ جوهري، فتركيز الطّاقة في لفظ القضاء، إلى جانب (الأمر)، ونلاحظ الأداة (لمّا)، التي تفيد نفي ما بعدها مع توقع حدوث الأمر في الوقت القريب، فهذا يدل على أنّ هذا الإنسان الجاحد سوف ينفذ ما أمره به خالقه إنْ طوعاً أو كرهاً فهو وسائر مَنْ في هذا الكون رهن إشارة الخالق عز وجل، ولعل استخدام هذا الحرف دون غيره من الحروف الجازمة يطلق الطّاقة الدّلاليّة ويكشف عن نَسَقٍ لغويّ باطني مُخزّنٍ يطفو إلى السطح وهو الكشف عن إرادة الله وجبروت قدرته، إنها مقدرة عظيمة لا تُقاوم، ومن ذلك قدرته على إجبار هذا الجاحد على أمرٍ يريده، على ما أمره به، إنه غير قادر على الوقوف في وجه هذهِ المقدرة العظيمة، فهذا اللفظ يتناسب دلالياً مع طاقة لفظ (يقضي)، إلى جانب لفظ (أمر)، فيحدث توافق كلي (على المستوى التّركيبيّ الدّلاليّ المعجمي الصرفي)، هذهِ المستويات التي يؤازر بعضها بعضاً في إطلاق طاقة دلالية في الفعل (يقضِ) المجزوم، إنها طاقة غير عادية، هذهِ الطّاقة تتناسب وافتتاح الآية بلفظ (الجزر) وهو (كلّا)، وهذا يقود إلى تواؤمٍ نصي تركيبي دلالي كاملٍ في إطلاق الأثر الفني للآية الكريمة.

لقد قاد العامل الزّمني إلى ترتيب الآيات والسّور القرآنية الكريمة ترتيباً يتوافق مع هجرة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) الكريمة (قبل وبعد)، فجاءت السّور المكّيّة التي نزلت على الرّسول وهو في مكة وما حولها أي قبل هجرته إلى المدينة، مكوّنة من آيات قصيرة تؤدي الغرض الدّلاليّ التأثيريّ بأساليب بسيطة غير معقدة، أي بالاعتماد على أساليب لغويّة بلاغية تخلو من التعقيد وتميل إلى البساطة والسهولة، ولكن هذهِ الأساليب السهلة (التي ترتكز في بعض الأحيان على اختيار كلمة قويّة دلالياً في موقع نحوي تركيبي يعطيها طاقة أعلى بل ويشحن طاقتها) تؤدّي الغرض المطلوب، فتقوم بشحن الدلالة وتؤمّن الأثر الفني في الآلية التّواصلية اللغويّة، خلافاً للسّور التي نزلت على الرسول الكريم بعد الهجرة إلى المدينة، هذهِ السّور التي امتازت بالطّول كما امتازت آياتها بالطول بالمقارنة مع مثيلاتها في الآيات المكية فقبل الهجرة كانت الآيات قصيرة مباشرة، وبعدها وهو في المدينة صارت الآيات أكثر طولاً وأكثر تفصيلاً في التعبير عن الأحكام، وأكثر شموليّة، فغابَ القصر في الآيات المكية والتناسب الصوتّيّ الإيقاعيّ المرافق لهذا القصر، وأُستبدل بتناسب دلالي، فالتّناسب الدّلاليّ في الآيات المدنية أكثر بروزاً، عبر التّرابط بين الفقرات والأجزاء، كما رأينا.

لقد برز العامل الزّمنيّ في الآيات التي تتحدث عن الخلق فكانت التراتبية واضحة في خلق الأيام والشّهور ولا سيما الشّهور الحُرم، فكان العامل واضحاً في ترتيبها كما ورد في الآيات القرآنية التي تناولها، إلى جانب دور العامل الزّمنيّ في خلق القرآن الكريم وفي ترتيب سوره وآياته، التي جاءت مختلفة على صعيد آليّة الخطاب اللغويّ وفقاً لهذا الترتيب، فكان العامل الزّمنيّ جوهريَّ الأثرِ في هذهِ الآليّة.

الخاتمة:

تم مناقشة علاقة اللسانيات بالرياضيات، وعلاقة الخطّية بوصفها فرع من فروع الدرس النقدي واللساني، وجاءت هذه الدراسة لأول مرة في الوطن العربي بصورة عامة والعراق بصورة خاصة، حيث لم يسبقني احد الباحثين بربط الخطّية بالخلق بالقرآن الكريم، وتتبع الاحداث المتراتبة في كلام الذات المقدسة سبحانه وتعالى وكيفية صيرورة ذلك الخلق تزامنيا وتعاقبيا بصورة خطّية ابتداءا من النطفة الى التسوية الى ان يصبح خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين، ونوصي الباحثين بتناول موضوع الخطّية في بحوثهم وخاصة النقدية واللسانية، وإنه لمن العيب أن يُقبِل طالب كيف ما كانت لغته على علم اللسانيات دون تمثل لقضايا وأسس اللسانيات البنيوية.

لقد مثّلت الخطّيّة إحدى خصائص الدّليل اللساني السّوسوري، فكانت خصيصة رئيسة ضمن العلاقة بين الدّال والمدلول عنده، ليحدث ترابط بين هذه الخاصيّة والعنصر الزّمني، وهذا العنصر

الذي يُحدد بعملية امتداد؛ فليس المقصود الزمن بذاته، وإنّما امتداد زمنيّ، وهذا الامتداد قابل للقياس ببعد واحد هو الخط، فالدّال السّمعي الذي تمثّله الخطّيّة يرتبط على نحو مباشر بالعنصر الزّمنيّ.

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أبرزها:

- هناك تزامن في الخلق يظهر من خلال مستويات الدراسة الخطّية، فلدينا ترتيب زمني في خلق الأيام والأشهر (ولا سيما الأشهر الحرم) والتي حرّم الله تعالى فيها القتال، فالتزامنية في الخلق هنا جوهريّة ضمن التوجيهات الإلهية والاستجابة الإنسانية لأوامر الخالق جلّ وعلا، كما نجد إنّ خلق الأرض قبل خلق السّماء، وقد أشار النّص القرآني إلى هذه المسألة صراحة في الآيات القرآنية الكريمة.

- هناك تراتبيّة في السور القرآنية الكريمة بذاتها، فمنها ما نزل على الرسول الكريم في مكّة وما حولها، ومنها ما نزل عليه بعد هجرته إلى المدينة المنورة؛ أي نزل في المدينة، فالتزامنيّة أوجدت نوعين من الآيات والسور القرآنية؛ سور مكّية، وسور مدنيّة.

- تداخلت التزامنية في القرآن الكريمة ضمن السور الكريمة ذات نفسها، فبعض السور تكوّنت من آيات مكّية وآيات مدنيّة.

- اختلف التّركيب اللغويّ للآليّة الخطابيّة للسّور القرآنية الكريمة وفقاً لزمن نزولها بين مكّة والمدينة، ومن أبرز الاختلافات: قصر الآيات المكّية، وتوافقها إيقاعيّاً، وطول الآيات ضمن السور المدنيّة وتفصيلها في الأحكام الشّرعيّة بغية توضيح هذه الأحكام بدقة؛ إذ شرحتها ليتمكن القارئ من الاستفادة والاستجابة الكاملة.

- هناك تزامنية وتعاقبيّة في خلق بعض المخلوقات؛ إذ يحدث إنّ تُخلق ضمن نظام دقيق، محدّد لا تخرج عنه، مثل: الليل والنّهار، والشّمس والقمر، ....

- تعاونت المستويات التّركيبيّة، والدّلاليّة، والمعجمية، والصّرفيّة في إبراز إنّواع الخلق ضمن الآلية الخطابيّة للآيات القرآنية الكريمة، كما تآزرت هذه المستويات المتداخلة وتعاونت في إطار اللغة العميقة لإبراز تزامنيّة الخلق، ودور الزمن، ويضاف إلى ذلك برز التّعاون ضمن تعاقبيّة الخلق.

- تقوم نواميس الخلق على أنواع رئيسة من الخلق: مرتبة الذّات الإلهيّة وصفاتها: وهو وجود مطلق غير محكوم للمكان والزّمان، بل هو حاكمٌ للزمان والمكان، عالم الأمر خارج الزمان والمكان (الرّوح، والقرآن الكريم)، وعالم المخلوقات (منها ما هو محسوس، ومنها ما هو غير محسوس).
- علاقة الخلق بالزّمان بوصفه خلقاً أيضاً علاقة قويّة؛ فالخلق عمليّة زمانيّة بامتياز تتطلب زمناً عموماً، كما أنّ بعض المخلوقات هي مخلوقات زمانيّة بذاتها كالليل والنّهار والشمس والقمر فوجودها وجود زمنّي، يقوم الزّمن عليه أيضاً.
- إن عملية خلق الإنسان بصورته النّهائيّة عملية امتدت على مدار زمن واسع فالخلق حدث ثم حدثت التّسوية ثم التّعديل وهذهِ المراحل مرّت بأطوار زمانيّة طويلة.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

الراضي، محمد (2012): النظريات اللسانية الكبرى، ط1، بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: يوسف البقاعي وآخرون، ط1، بيروت: مؤسسة الأعلمي، 2005م، مادة خطط، ج1.

ادشيش، يونس (2017): الدّليل اللساني عند فرديناند دي سوسير، موقع منتدى مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية.

الجاحظ، ابو عثمان: البيان والتّبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة: الخانجي، ج1.

الحباشة، صابر (2020): علاقة اللسانيات بالرياضيات رهانات أم عقبات، مجلة المخاطبات، العدد 99.

الحمداني، حميد (1991): بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ط1، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ص28.

دي سوسير (1985): علم اللغة العام، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، ط3، بغداد: دار آفاق عربية.

شادي، محمد ابراهيم عبد العزيز (1991): الصّورة بين القدماء والمعاصرين دراسة بلاغية نقدية، ط1، القاهرة: مطبعة السعادة.

الشيرازي، أبو عبد الله الزنجاني (2002): مقالات في تاريخ القرآن وصدر المتألهين، ط1، دمشق: المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق.

طول، محمد (1989): البينة السردية في القصص القرآني، ط1، عمان: ديوان المطبوعات الجامعية.

عباس، حسن (1998): خصائص الحروف العربية ومعانيها، دمشق: منشورات دار الكتّاب العرب.

مركز نون للتأليف والترجمة (2014): دروس قرآنية، ط 8، بيروت: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية.

نعمة، زينب ثجيل (2017): خطّية الخلق في نهج البلاغة، بغداد: جامعة الكوفة، رسالة ماجستير غير منشورة.